مضمرات النسق الإثني وتجليات الصراع في رواية "قواعد العشق الأربعون" لـ "إليف شافاق"

The implications of the ethnic order and the manifestations of conflict in the novel "The Forty Rules of Love" by "Elif Shafak"

عادل صياد[1]*

مخبر النّقد والدّراسات الأدبية واللسانية، جامعة الجيلالي اليابس –سيدي بلعباس– الجزائر siad.adel@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2021/06/05 تاريخ القبول: 2021/06/17 تاريخ النشر: 2021/07/29

ملخص:

تثير رواية "قواعد العشق الأربعون "للروائية التركية "إليف شافاق" في علاقتها بالخطاب النّقديّ الثّقافويّ نمطين من الأسئلة؛ يتعلّق الأوّل بمنظور الأتراك وغيرهم إلى الآخر اليهودي ويتحرّى الثّاني رؤية اليهودي إلى نفسه، وذلك من خلال البحث في مضمرات الخطاب وأنساقه الضّديدة كبلاغة صامتة مطمورة، انطلاقا من مشهديّة الأسماء في الرّواية الإطاريّة، وإذ تُعنى هذه القراءة بمشهديّة الأسماء –أوّل عتبات الكينونة والهويّة– فإنّها تعنى بالأنساق الظاهرة والمطمورة معا فتتخذ من مضمر الدّال والمدلول أدوات لاستكناه الخطاب وفكّ تشفيراته الدّلاليّة، إضافة إلى بحثها في مختلف خلفيات انتقاء الشّعوب والثّقافات للأسماء وما تحمله من مؤشّرات ضمنيّة تبوح بالصّراع وأزمة الهويّة تارة، كما تبوح بتواشج العلاقات واتّحادها بين طرفي المفارقة الأزليّة: الأنا /الآخر تارة أخرى.

كلمات مفتاحية: الأنساق المضمرة، النقد الثقافي، الرواية، الإثنيات، الصراع.

Abstract :

The novel "The Forty Rules of Love" by the Turkish novelist "Elif Shafak", in relation to the cultural critical discourse, raises two types of questions; The first relates to the perspectives of the Turks and others on the Jewish other and the second investigates the vision of the Jew in himself, by examining the contours of the discourse and its opposing forms as silent, buried rhetoric, based on the names in the frame novel.

Keywords: the ego and the oter; cultural; the novel.

1. مقدمة:

تحاول هذه الورقة البحثية الإجابة عن نمطين من الأسئلة الجوهرية يتعلق الأول ببلاغة الصمت كخطاب مضمر يسائل الهويات المخبوءة والمخاتلة داخل النّص ويرصد الثاني العلاقات القائمة بين هذه الهويات فيحاول استكناه أوجه التفاعل بينها في رواية قواعد العشق الأربعون لإليف شافاق، وقد لاحظنا إمكانية تقسيم متن الرواية إلى قسمين: أحدهما إطاري والثّاني ضمني، وسوف تختصّ هذه الورقة بالبحث عن بلاغة الصمت وتفاعل الهويات فقط في الشق الإطاري للرواية وتحديدا في أسماء الشّخصيات من هذا الشق، لأن المقام لا يسمح إلا بذلك.

أمّا تقسيم الرّواية إلى قسمين أحدهما إطاري والثّاني ضمني فهو مبني أساسا على تقسيم موجود في الرواية؛ حيث يتضمن متن الرواية قصتين اثنتين، يمكن تصنيفهما إلى قصة إطارية وقصة ضمنية، وقارئ الرواية يبدو له بوضوح منذ الوهلة الأولى أنه إزاء كتابة روائية من نوع خاص تُروى فيها تارة أحداث من القصة الإطارية، وتروى فيها أخرى أحداث من القصة الضمنية حتى لكأنها تبدوان رواتين اثنتين قد جمعتا معا في رواية واحدة.

أما أولهما والتي يطلق عليها ها هنا القصة الإطارية، فتدور أحداثها حول بطلين هما كاتب روائي، وناقدة أدبية يعيشان ضمن الإحداثيات الزمنية للقرن الواحد والعشرين، وقد تتابعت تفاصيل أحداث هذه القصة الإطارية من الرواية حتى شكّلت بمجموع تفاصيلها رواية تكاد تكون كاملة لوحدها، ولكن بالتوازي أيضا وفي الوقت ذاته مع أحداث القصة الثانية، والتي يطلق عليها ها هنا القصة الضمنية؛ إذ كانت هذه القصة الثانية بدورها أشبه برواية أخرى مستقلة في أحداثها وتفاصيلها عن الأولى تماما حتى لكأنها أيضا رواية مستقلة كاملة، وليس يجمعها بالقصة الأخرى سوى أن الكاتب والذي هو بطل القصة الإطارية من الرواية، هو أيضا في الوقت ذاته صاحب القصة الثانية والتي عنونت بالكفر الحلو، كما أن النّاقدة الأدبية والتي كانت هي بطلة القصة الأولى لها أيضا دور أساسي من جملة أدوارها في هذه القصة الأولى وهو إبداء رأي في مدى قابلية القصة الثانية المعنونة بالكفر الحلو للنّشر بحكم أنها تعمل لصالح وكالة أدبية، ومن خلال ذلك يتعارف البطلان كلاهما الكاتب والناقدة وقد جاءت الرّواية الثانية بإحداثيات زمنية أخرى غير الإحداثيات الزّمانية للقصة الأولى فهي تعود بالقارئ إلى القرن الثالث عشر ميلادي حيث تدور أحداثها

هنالك حول بطلين آخرين هما "جلال الدين الرومي" و"شمس الدّين التبريزي" ورويت أحداثها تباعا ضمن الرواية وهي بذلك يمكن اعتبارها قصة ضمنية في متن الرواية، وقد سارت أحداث الرواية تداوليا ما بين أحداث من القصة الإطارية وأخرى من القصة الضمنية.

2.تحديد أسماء الشخصيات في القصة الإطارية من الرواية والتعريف بها تعريفا موجزا:

تحدّد هذه النّقطة أسماء الشخصيات التي ذكرت في القصة الإطارية للرواية وفق ترتيب ظهورها لأول مرة تباعا في الرواية والتعريف بها تعريفا موجزا وسيكون ذلك كالآتي:

إيلا روبنشتاين: وهي سيدة متزوجة مضى على زواجها عشرون سنة، تقترب من سن الأربعين، متخرجة من الجامعة، وحائزة على الإجازة في الأدب الإنكليزي، متحررة تنتمي إلى الحزب الديمقراطي، يهودية غير متدينة ونباتية طموحة عازمة على إزالة جميع أنواع اللحم من وجبات طعامها ذات، يوم ومع أنها تحب قراءة الروايات، فإنها لم تعمل في مجال اختصاصها بعد تخرجها سوى عملها على تحرير بعض المقالات القصيرة لمجلّات نسائية ومشاركتها في عدد من نوادي الكتب، وكتابتها بين الحين والآخر مقالات لعدة صحف محلية، كانت تطمح أن تكون ناقدة أدبية لكن أخذتها الحياة إلى مكان آخر وجعلتها ربة منزل مجدة، تعتني بأطفالها الثلاثة، وتضطلع بمسؤوليات منزلية لا نهاية لها، ذكرت لأول مرة في الصفحة السابعة من الرواية.

دفيد زوج إيلا: وهو طبيب أسنان ناجح، يعمل لساعات طويلة، وجمع الكثير من المال، ذكر لأول مرة في الصفحة الثامنة من الرواية.

جانيت: إبنة إيلا الكبرى فتاة جميلة في المرحلة الجامعية، ذكرت لأول مرة في الصفحة الثامنة من الرواية.

أورلي ابنة إيلا: مراهقة وهي توأم لأخيها آفي مهوسة بحساب عدد اللقمات التي تأكلها كي لا تحصل على سعرات حرارية تزيد عن ستمائة وخمسين سعرة يوميا ذكرت لأول مرة في الصفحة الثامنة من الرواية.

آفي ابن إيلا: وهو توأم لأخته أورلي كثيرا ما يعلق بتعليقات سخيفة ويتحمس دائما لكشف عيوب الآخرين وأكاذيبهم كما هو شأن المراهقين، درجاته في المدرسة متدنية ذكر للمرة الأولى في الصفحة الثامنة من الرواية.

سبيريت: كلب ذهبي اللون يبلغ من العمر اثنتي عشرة سنة، يرافق إيلا في جولاتها الصباحية، وقد كان أشدّ رفاقها سعادة عندما كان جروا، لكنه كبر الآن وازداد وزنه ولم يعد يسمع، وكاد أن يصبح أعمى، ذكر للمرة الأولى في الصفحة الثامنة من الرواية.

العمة إستر: تأتي بين الحين والآخر عند أسرة إيلا لتصنع لهم نوعا من الكعك وتتناول معهم وجبة الغداء، ذكرت للمرة الأولى في الصفحة الحادية عشر من الرواية.

سكوت: صديق جانيت الذي قررت في البداية أن تتزوجه مع معارضة من العائلة وألحت جانيت إلى أن هذه المعارضة مردّها لكون سكوت ليس يهوديا، ذكر للمرة الأولى في الصفحة الرابعة عشر من الرواية.

مشيل: من الوكالة الأدبية، هي التي كلّفت إيلا بقراءة رواية الكفر الحلو ذكرت للمرة الأولى في الصفحة الواحدة والعشرين من الرواية.

ستيف: من الوكالة الأدبية لم تذكر حوله الكثير من التفصيل لكن يبدو وكأنه هو المسؤول في الوكالة الأدبية ذكر للمرة الأولى في الصفحة الواحدة والعشرين من الرواية.

ع. ز. زاهارا: عزيز زاهارا كاتب روائي يعيش في هولندا وهو صاحب رواية الكفر الحلو، أرسل مخطوط روايته إلى الوكالة الأدبية من أمستردام وقد كان المخطوط الذي أرسله يحمل تعريفا به على طريقته، وذكر فيه: أنه يعيش في آمستردام مع كتبه، وقططه وسلاحفه، هذا عندما لا يكون مسافرا في أصقاع الأرض، وأن رواية الكفر الحلو روايته الأولى، وربما كانت روايته الأخيرة فليست لديه النية في أن يصبح روائيا، إذ كتب هذه الرواية من باب الإعجاب المحض وبدافع من حبه الشديد للشاعر العظيم، الصوفي، الرومي وشمسه العزيزة، شمس التبرزي، يظهر فيما بعد أنّه اسكتلندي الأصل وكان ملحدا قبل أن يصبح صوفيا بعد أن أسلم وقد كان اسمه قبل إسلامه كريغ ريتشاردسون، وقد ذكر ع. ز. زاهارا للمرة الأولى في الصفحة السادسة والعشرين من الرواية.

3.بلاغة الصّمت وتفاعل الهويّات في أسماء شخصيات القصة الإطارية:

كما يلاحظ من خلال الأسماء التي ذكرت في القصة الإطارية من الرواية والتي تدور أحداثها في القرن الواحد والعشرين، فإن بعض هذه الأسماء تبدو أسماء يهودية منذ الوهلة الأولى ولعله بمجرد قراءة اسم ديفيد رب الأسرة التي تدور كثير من أحداث الرواية حولها، أو اسم العائلة روبنشتاين حتى يتبادر لذهن القارئ أنه بإزاء رواية تحكي أحداثا سيكون للعنصر اليهودي فيها دور أساسي، فاسم ديفيد هو اسم له حضوره في الدّيانة والثقافة اليهودية حتى أن بعض متعلّقات الديانة ورموزها تنسب إليه على غرار ماجن ديفيد أو نجمة داود، فديفيد هو نفسه الاسم المقابل لاسم داود في العربية، ولا تخفى العلاقة بين النّبي داود عليه السّلام وبني إسرائيل حتى أن العاصين المعتدين الذين كفروا منهم حينما لعنوا إنّما لعنوا على لسانه هو وعيسى بن مريم كما جاء ذلك في القرآن الكريم: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾ [سورة المائدة، الآية 78].

وهذا فعل من أفعال الثّقافة المنغرسة في اللّاشعور حيث يؤدي السّماع المتكرر أو القراءة المتكررة لاسم ما مثلا وهو يرد مرتبطا بثقافة ما أو بديانة ما أو بلغة ما إلى استدعاء تلك الثقافة أو الديانة أو اللغة مباشرة بعد سماع أو قراءة ذلك الاسم وهو ما يعبّر عن نسق مضمر مركوز في اللّاشعور سوف تكشف هذه النقطة عنه عند نهاياتها.

وحتى إن لم يكن اسم ديفيد أو اسم العائلة روبنشتاين كافيان في الدّلالة على أن الأسرة يهودية فإنّه تكفي فيما بعد بعض التلميحات لتأكيد ذلك؛ مثل تلميح الابنة الكبرى جانيت بأن سبب رفض أسرتها للزواج من صديقها سكوت يرجع لكونه ليس يهوديا؛ حيث تقول: « **هل هذا كله لأن سكوت ليس يهوديا؟**» (شافاق، 2012، ص 17) ثم تضيف بعد ذلك بقليل وهي تسأل أمها: « **هل يمكنك أن تنظري في عينيّ مباشرة، وتقولي لي إنّك كنت ستعترضين لو كان سكوت شابا يهوديا اسمه هارون**» (شافاق، 2012، ص 17) وهو تلميح كاف ليتأكد الأمر أن أسرة إيلا روبنشتاين إنّما هي في الأساس أسرة يهودية وكاف أيضا ليؤشر على ما للأسماء من دور في الثّقافة اليهودية – على الأقل من وجهة نظر

الكاتبة- حيث أن اسم هارون وحده – والذي هو أساسا ليس حكرا فقط على الثقافة اليهودية- قد يكون كافيا لإقامة عقد زواج فيما لا يكفي اسم سكوت لذلك، بغض النّظر عمّا يتمتع به الشّخصين حاملي الاسمين من صفات حسنة أو سيئة تجعل منهما مؤهلين للزواج أو لا، وذلك فضلا عمّا يحمله هذا التعليق القصير والذي صدر من الابنة الكبرى للعائلة جانيت من تلميح آخر على ما تحمله الثّقافة اليهودية إن بعاداتها وتقاليدها أو بارتباطاتها الدينية من عزلة تجاه الآخر ورفض للاختلاط به والارتباط معه وحتى إن لم تكن هذه التلميحات صحيحة في أرض الواقع، وإنما ابتكرتها مؤلفة الرواية ابتكارا، فهي حين ذلك تؤشر على ما يعتقده الآخر غير اليهودي تجاه الثّقافة اليهودية، إذ تكفي جمل قصيرة مثل التي سبق ذكرها لتؤشر على النّظرة العامة لليهود والتي يمكن إجمالها في النقاط التالية:

- الأسماء لها دور في الثقافة اليهودية.
- يفضل اليهود الزواج من بعضهم.
- عادة ما يعيش اليهود في عزلة عن محيطهم.

فهل هذه المؤشرات التي تلمّح لها الرّواية هي مؤشرات حقيقية لها وجود فعلي على أرض الواقع؟ أم أنها فقط مجرد خيال روائي؟

حيث أنّ هذه المؤشرات إن صدق حصولها واقعيا فهي تجعل من اليهود إجمالا بهذه العزلة عن محيطهم، واختيارهم للارتباط بأسماء من داخل ثقافتهم فقط، وكذا تزاوجهم من بعضهم فقط – تجعل منهم- جماعة من الجماعات الوظيفية التي تحيط نفسها بأنواع من العزلة والاغتراب، وحينما يكون اليهود إجمالا بهذه الخاصية أي جماعة وظيفية تحيط نفسها بحالات من العزلة والاغتراب، فإن ذلك سينسحب على جملة من الأمور منها اعتقادهم في أنهم مركز وحيد لهذا الكون، ويكون أفراد جماعتهم تبعا لذلك مؤمنين « **بأنهم هم وحدهم الذين تَكمُن فيهم القداسة، ولذا فلا يمكنهم أن يختلطوا بالآخر، أي أعضاء المجتمع المضيف الذين لا تكمن فيهم أية قداسة، ولابد أن يعزل أعضاء الجماعة الوظيفية أنفسهم من خلال الأسماء واللغة والمسكن والجيتو* ومن خلال العقيدة الدينية إن أمكن وهكذا**

تصبح آليات العزل شيئاً شبيهاً بشعائر الطهارة في العقائد الحلولية الكمونية» (المسيري، 1999، م1، ج5، ص 374) وهو أمر ولا شك خطير إذ هو لا يتعلق فقط بجماعة محدودة أو فئة معزولة، بل بملايين الأشخاص يعيشون في هذا العالم، وتكمن خطورة الأمر في أنّه لو كانت الافتراضات المستخلصة من تلميحات الرواية صحيحة في كون اليهود إجمالا يتّسمون بهذا الانعزال عن محيطهم، فإنّهم بهذا الانعزال لن يتمكنوا من التّعايش مع هذا المحيط أبدا، وحتّى إن كانت الافتراضات المستخلصة من تلميحات الرواية خاطئة فإنّه يبقى في الأمر جانب آخر من الخطورة تكمن في نظرة الاختزال والتعميم تجاه الآخر ووصمه بالانعزال عن محيطه وعدم القدرة على الاندماج فيه، وهو ما يجعل حالات الشّك والارتياب وأزمة الثّقة في هذا الآخر أحوالا قائمة دائما، وهي بذلك لن تسهم سوى في المزيد من القطيعة والتّمكين من العزلة تجاه هذا الآخر وينتج عن ذلك أمور جميعها تجعل أيضا من إمكانية التعايش مع هذا الآخر تبدو مستحيلة.

وهو ما يستدعي من هذه الدراسة بعضا من البحث في المجتمعات اليهودية ومحاولة الكشف عن هذه المؤشرات والتي يمكن تلقُّفها من سطر واحد في رواية يعبّر فيه الآخر عن اليهودي بلسان اليهودي نفسه وسيتوزع ذلك على نقاط وفق الآتي:

1.3 دور الأسماء في الثقافة اليهودية وفي بعض الثقافات والحضارات الأخرى مع عقد مقارنات في طرق اختيار الأسماء:

بالبحث أولا في علاقات اليهود بالأسماء يمكن إيجاد مجموعة من الدّلائل التي تؤكد جانبا من الافتراضات الأولية والتي كانت قد جاءت فقط من مؤشرات حديث عابر أثناء الرواية، وقد كان من مؤشرات ذلك الحديث العابر أن الأسماء لها دور في الثّقافة اليهودية؛ حيث أنّه فعلا قد تبين لنا ما للأسماء من دور لكن ليس فقط في الثّقافة اليهودية والعبرية بل أيضا في الحضارات القديمة عموما فقد « **كانت للأسماء والأعلام في الحضارات القديمة دلالة وفحوى ليس لها ما يوازيها في عصرنا الحديث فالاسم كان يُعَدُّ ممثلاً لجوهر صاحبه، ولذلك كان الإنسان يُعطى اسماً جديداً حينما يدخل مرحلة جديدة من حياته»** (المسيري، 1999، م3، ج2، ص 336) وقد كانت التسمية في العصور القديمة أحيانا ما تجنح

إلى طرق متشنجة في اختيار الأسماء تتناسب مع السلوكيات التي كانت تعتمد في التربية الخشنة للأبناء وقد كان العرب مثلا يعتمدون في تسمياتهم على معاني الشدّة حين يريدون اختيار أسماء لأبنائهم، شأنهم في ذلك الاختيار شأن التّربية القاسية المترافقة مع هذا الاختيار والتي كانوا يحيطون بها أبناءهم، كما اعتمدوا أيضا في تسمياتهم على معاني الانتصار في الحروب والمعارك وقد كان الآباء تبعا لذلك « **يتخيرون لأبنائهم الأسماء التي تدل على الخشونة، أو توحي بالتفاؤل بالظفر على الأعداء مثل: كلب أسد، فهر، صخر, غلّاب ضرار حنظلة، حرب، بينما كانوا يتخيرون لأرقائهم أسماء جميلة مثل: سهيل، ميسور، هانئ نجاح، فلاح, ونحو ذلك**» (برو، 2001، ص 269) وعندما سؤل أحدهم مثلا « **لماذا تسمون أبناءكم بشر الأسماء وعبيدكم بأحسنها؟ قال: إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا، وعبيدنا لأنفسنا**» (برو، 2001، ص 269) ويتبيّن من ذلك أن ليست الثقافة اليهودية هي وحدها التي تحيط الأسماء بنوع من الخصوصية والدقة في الاختيار وربط ذلك بأحوال معينة؛ إذ قد تتشارك في ذلك مع ثقافات أخرى، فيكون الاسم بذلك طابعا مميزا لتلك الثقافة تتمايز بها عن غيرها من الثقافات.

وإذا كان أمر العناية بالأسماء ليس طابعا يهوديا محضا، وإذا كانت الأسماء هي إحدى العلامات التي تتمايز بها الحضارات والثقافات عن غيرها فلماذا إذا يكون الإنكار في هذا الجانب على ثقافة معينة تحتفي بتمييز نفسها عن غيرها من الثقافات؟ وهو ما يدفع إلى تساؤل آخر أيضا ها هنا إذا كان هنالك لوم ما على يهودي لا يقبل تزويج ابنته من شخص لا يحمل اسما يهوديا فهل يقبل في المقابل من ذلك مثلا شخص ما عربيا كان أو مسلما تزويج ابنته من شخص يتقدم إليها باسم ديفيد مثلا؟ وإذا كان الجواب لا وهو الأكثر احتمالا فإن ذلك يؤشر على نسق عام لا يرتبط بثقافة واحدة بعينها فقط بل بجميع الثقافات ذات الارتباطات الدينية والأعراف والعادات والتقاليد، إذ تمارس كل ثقافة من الثقافات نوعا من العزلة تجاه الآخرين وعت ذلك أم لم تعه، وليس هذا الأمر حكرا على ثقافة بعينها، وإنما يسهل فقط على كل ثقافة وصم الثقافات الأخرى بأشياء قد تبدو معيبة لكنّها في الوقت ذاته قد تكون مشتركة

بين الثقافات جميعها، وفي المقابل من ذلك قد يصعب جدا اعتراف ثقافة ما أمام ذاتها وأمام الآخرين بما يمكن أن تستبطنه من أنساق معينة تنكرها هي نفسها على الآخرين.

2.3 تعلق اليهود بثقافتهم وعاداتهم في اختيار الأسماء ومقارنتها بتعلق غيرهم وعاداتهم في اختيار الأسماء:

إذا ما تعلق الأمر باليهود تحديدا وبثقافتهم العبرية فإن هذا الأمر – ارتباطهم بالأسماء وعنايتهم بها– يكون مؤكدا أيضا لديهم، بل قد تزيد فيه بعض التفاصيل التي ليست لدى غيرهم ربما في الحضارات والثقافات الأخرى؛ إذ مثلا « **في العهد القديم نجد أن بعض الشخصيات كانت تغيِّر أسماءها عقب مرورها بتجربة مهمة فبعد مصارعة الرب، يتحول اسم يعقوب إلى يسرائيل وفي الواقع فإن تغيير الاسم يُضفي دلالة خاصة على صاحبه**» (المسيري، 1999، م3، ج2، ص 336) بل إن الاسم في اللغة العبرية له جملة من القواعد الخاصة التي تحكمه إذ هو أحيانا يرتبط بعاطفة أو فكرة حيث أن « **آدم يُسمِّي زوجته حواء أي الحياة لأنها أم المخلوقات، وحينما أنجبت راحيل ابناً أسمته يوسف أي سوف يزيد، ويتسحاق تعني يضحك أما بنيامين فهو ابن يدي اليمين**» (المسيري، 1999، م3، ج2، ص 336) وليس اعتماد العاطفة أو الفكرة في تخيّر الأسماء أمرا محتكرا أيضا على اليهود فقط إذ « **من أسماء البابليين أسماء ذات دلالات لطيفة تدل على إحساس العبد منهم بقربه من ربه مثل إبلوشو أبو شو بمعنى إلهه أبوه**»(المسيري، 1999، م3، ج2، ص 336).

وقد تكون الأسماء أحيانا أيضا في اللغة العبرية مكونة من كلمتين اثنتين لا من كلمة واحدة مثل تلك الأسماء التي تضاف إلى كلمتي الأب والابن « **أب، أي أب بالعربية، وبر أي ابن، على أن تضاف إلى أي من الكلمتين كلمة أخرى تحمل دلالة خاصة، فإبراهيم سُمِّي كذلك لأنه أبو الأمم، وبرليف أو بارليف هو ابن القلب أو صاحب القلب**» (صالح، د ت، ص 450) وهو ما يمكن أن يؤشر على الارتباط الأسري بتسمية الأشخاص وهم ينتسبون إلى أبوة ما أو بنوة ما حتى إذا كانت هذه الأبوة أو البنوة معنوية فقط، كما أنّ بعض الأسماء عادة ما تضاف إلى اسم الخالق وهو اسم إيل بالعبرية « **كما هو**

الحال في كلمة يسرائيل، أي المتصارع مع إيل الرب» (المسيري، 1999، م3، ج2، ص 336) ويبدو أنه قد كانت إضافة الأسماء إلى إيل شائعة حتى في حضارات أخرى قديمة مثل الحضارة البابلية* حيث أن كلمة بابل نفسها يشيع أنها مشكَّلة أساسا من مقطعين وهي بذلك تحمل معنى « **باب إل، أي باب الإله»** (صالح، د ت، ص 450) وبذلك عرفت الأسماء التي أضيفت إلى إيل في هذه الحضارة أيضا « **وشاع في عدد كبير منها اسم إيل أو إل الذي تداخل اسمه في اسم المدينة المجددة بابل، مرادفًا لاسم الإله واسم الله ولا زال باقيًا في أسماء إسماعيل وجبرائيل وعزرائيل»** (صالح، د ت، ص 450).

لليهود أيضا عادات أخرى في إطلاق الأسماء ومن تلك العادات بعض العادات الشبيهة أيضا في التسمية بالتي كانت عند العرب والتي سبق ذكر بعض منها في بداية هذه النقطة حيث أن « **إطلاق اسم الحيوانات والنباتات والجماد على الإنسان عادة يهودية قديمة فالاسم ديبورا تعني نحلة، وتامار هي النخلة، وبن تسفي هو ابن الظبي وبركوخبا هو ابن الكوكب»**. (المسيري، 1999، م3، ج2، ص 336).

3.3 تأثر اليهود في اختيار الأسماء بثقافات أخرى:

مع كل ما قد سبق في النقاط الماضية فإنّ الأسماء التي يطلقها اليهود على الأشخاص ليست كلها أسماء عبرية ومن ذلك أحد أسماء شخصيات هذه الرواية نفسها، إذ قد كان من جملة الأسماء التي وردت في الرّواية التي هي موضوع بحث هذه الورقة اسم العمة إستير (شافاق، 2012) والتي تزور عائلة إيلا روبنشتاين بين الحين والآخر إذ يبدو أن هذه العمّة من ناحية اسمها يهودية أيضا، وكذلك من ناحية عدم تحفظ العائلة أمامها في مناقشة موضوع رفضهم تزويج ابنتهم من آخر مغاير للديانة اليهودية، ومع ذلك فاسمها " إيستر" ليس اسما عبريا خالصا وإن كان مستخدما كثيرا لدى اليهود حتى أن سفرا من أسفارهم المقدسة يسمى سفر إيستر (قدح، 2001، ص 332) وهو ما يقود إلى نمط آخر في اختيار الأسماء بالنسبة لليهود، إذ قد يتخذون أسماء تأثرا بثقافات أخرى مجاورة مثلما هو الحال في اسم إيستر وغيره من الأسماء، وحتى في بعض الأسماء المقدسة عندهم « **فالاسم إستير مثلاً مأخوذ من عشتروت زوجة بعل**

واسم موسى نفسه ليس عبرياً ويُقال إنه اختصار لكلمة مصرية قديمة تعني ابن» (المسيري، 1999، م3، ج2، ص 336).

وهو أمر أيضا ليس حكرا فقط على اليهود وحدهم إذ قد تَسَمَّى العرب في الجاهلية أيضا بأسماء يهودية وأخرى نصرانية وهو ما يدل على « **أهمية كبيرة في الافصاح عن مدى تأثر الجاهليين بالديانتين وليس من اللازم أن تكون هذه الأسماء أسماء أناس كانوا على دين يهود، أو على دين النصرانية، فالأسماء وإن كان لها ارتباط في الغالب بأديان حامليها غير أنها لا تكون دائمًا دليلا على دين أصحابها فللبيئة ولبعض العادات والاعتقادات دخل في اختيار الأسماء»** (علي، 2001، ج12، ص 258).

وفضلا عن هذه الأهمية الممنوحة للأسماء عند اليهود، والدّقة في اختيارها فإن الاسم في اعتقاد اليهود إضافة إلى كل الأهمية السابقة الذّكر قد يحكم حتى مستقبل الشخص، كما أنه ليس على الشخص الفاضل تغيير اسمه، وأحيانا تكون مجرد تسمية الشخص تسمية ما كفيلة بمنحه مرتبة دينية؛ إذ « **يؤكد التلمود أن اسم الشخص يؤثر في مستقبله، كما يرى الحاخامات أن اليهودي الفاضل يجب ألا يُغيِّر اسمه العبري خارج فلسطين وأيُّ يهودي يحمل اسم كوهين، أو أياً من أسماء الكهانة الأخرى، يُعتبَر من نسل كهنة المعبد وتسري عليه محظورات معيَّنة متصلة بالزواج والطلاق»** (المسيري، 1999، م3، ج2، ص 336).

4.3 الألقاب وأسماء الأسر عند اليهود:

ممّا يلاحظ في الرواية أيضا أن تسمية البطلة جاء اسما مزدوجا وذلك بذكر اسمها واسم عائلتها إيلا روبنشتاين (شافاق، 2012) وقد تبين للباحث أن عادة التسمية بالعائلة ليست أصيلة في الثقافة اليهودية إنما هي مكتسبة جرّاء ظروف معينة كالظروف التي عرفتها أوربا أثناء وبعد عصر الأنوار حين بدأت أوربا تعرف بعثا « **وقيامة جديدة استقرت مع آلية عصر الأنوار تتمسك بمفهوم التقدم انطلاقا من المعطيات المضمرة للثقافة الغربية التي ارتبطت بالأرض والنزعة الكمية»** (بن نبي، 2012، ص 11)

والتي كان من نتائجها موجات تحريرية لعدد من الفئات والأقليات يمكن الاصطلاح عليها بالإعتاق مع التزام مشروط لهذه الفئات والأقليات المعتقة بتغير ولائها ليكون ولاء للدولة بدلا من ولاءاتها الفئوية القديمة الضيقة للجماعة؛ ولعل اليهود كانوا هم الرّابح الأكبر من عملية الإعتاق هذه حيث غيرت وبشكل كلي تلك الصورة النمطية القديمة عنهم وحولتهم من مجرد مهمّشين في جيتو إلى أعضاء فاعلين ومركزيين في الحضارة الغربية ومثلما سبقت الإشارة فإنه « **لم يكن من عادة أعضاء الجماعات اليهودية قبل الإعتاق أن يحملوا اسم أسرة، فكان الشخص يُسمَّى فلان بن فلان يعقوب بن إسحق مثلاً، وأحياناً كان يضاف اسم المهنة حتى يتم التمييز بين فرد وآخر في نفس الجماعة، مثل صندلر أي صانع الأحذية في العبرية وجولدشميت في الألمانية هو الصائغ**» (المسيري، 1999، م3، ج2، ص 336) غير أنّ هذا النّمط في اتخاذ الأسماء لم يبق مستمرا بعد ظهور حركة الإعتاق حيث اكتسب اليهودي في أوربا صفة المواطن ولعله « **من خلال هذه الصفة (المواطن) كان اليهودي قد أخذ من سائر أوروبا بعض لون الأرض التي يعيش فيها، ولن يسمى أحد بعد ذلك باسم دافيد، إسحاق إسرائيل، بل دزرائيلي أو ابنهايمر أو فرنسيس دكرواسي**» (بن نبي، 2012، ص 71) لكن التّحول في اتخاذ الأسماء الجديدة ذات الطابع الأوربي لم يأت مباشرة وبطريقة فجائية بل جاء على مراحل كانت بعضها متّسمة بالرفض لهذا التحول، ثم بدأ بعض القبول الاضطراري مع الإكراه، وبذلك وعبر التتابع الزمني بدأ اليهودي يتخلى عن جزء من موروثه في الأسماء شيئا فشيئا حتى « **أسقط كثير من اليهود أسماءهم العبرية، كما طلبت إليهم الحكومات أن يحملوا اسم أسرة بشكل ثابت، مثل بقية المواطنين، حتى يمكن الاحتفاظ بسجلات رسمية عنهم، ويمكن فرض الضرائب عليهم وتجنيدهم، وقد قاوم أعضاء الجماعات اليهودية من التقليديين هذا الاتجاه، ولكنهم رضخوا في نهاية الأمر**» (المسيري، 1999، م3، ج2، ص 337) بل إنّهم فوق ذلك بعد رضوخهم للأمر أخيرا، وبدلا من أن يكونوا فقط مصدرا للضرائب ورصيدا احتياطيا للتجنيد، فإنهم جعلوا من « **أوروبا اليوم في حيويتها الثقافية والسياسية والمادية تدور حول مركزية اليهود**» (بن نبي، 2012، ص 44).

5.3 أنماط التسمية التي اختارها اليهود في تغيير الأسماء ومقارنتها بغيرها:

ليست هذه الأنماط المذكورة جميعها في النّقاط السّابقة هي فقط أنماط التّسمية لدى اليهود، إذ قد كان اليهود أيضا يمارسون نوعا من الحيلة في تخيّر وتغيير أسمائهم وعلى العكس من قدماء العرب الذين كانوا يتخيرون أسماء خشنة لأبنائهم تخير اليهود في تغيير أسمائهم أسماء مناقضة للخشونة، ولعله تواؤما مع ما كانوا يطلبونه من تعاطف وشفقة وانتباه غيرهم حرصوا على اختيار أسماء رقيقة يتخذونها بدلا من أسمائهم القديمة إذ « **كان اليهود يُسمَّون أحياناً باسم المدن، مثل: أوبنهايمر أي من مدينة أوبنهايم على نهر الراين، أو شابيرو، أي من مدينة شبير أو كانوا يُسمَّون بأسماء ذات دلالات جميلة مثل بلومنفيلد أي حقل الزهور، أو روزنبرج، أي جبل الورد، أو بترجمة أسمائهم من العبرية إلى لغة بلدهم، فالاسم موسى بن مندل يصير موسى مندلسون فكلمة سون تعني ابن**» (المسيري، 1999، م3، ج2، ص 337).

ويبدو أن في اسم العائلة المذكور في الرواية روبنشتاين تلميحا ما في تحدّر هذه العائلة من أصول ألمانية وهو ما يضمر معاناة اليهود من النازية حيث كان اليهود في تسمياتهم عادة ما يسمون أبناءهم بأسماء الكهنة أيضا، ثم ما لبثت تلك التسميات عند اليهود الألمان أن تحولت إلى الألمانية « **مثل: كوهين وكاتس وليفي وهارون وقد تمت ألمنة هذه الأسماء فأصبحت على التوالي: كوهينشتاين وكاتسمان وليفينتال وأرونشتين**» (المسيري، 1999، م3، ج2، ص 337) وهي تسميات يلاحظ على بعضها إضافة لازمة في آخرها فتبدو أشبه ما تكون بالإضافة الملحقة باللّقب المذكور في الرّواية روبنشتاين، إذ تشترك كثير من الأسماء المتحدرة من أصل ألماني في اللاّزمة الأخيرة شتاين ولذلك يظهر أن اسم عائلة روبنشتاين هو أيضا اسم متحدّر من أصول ألمانية ولعل هذا ما قصدت الرّواية أن تلمّح إليه، وشيوع الأسماء اليهودية ذات الأصل الألماني في الولايات المتحدة الأمريكية، يؤشر أيضا على استقبال أمريكا لأعداد من المهاجرين اليهود الهاربين من ألمانيا وقد كان من جملتهم عدد من المشاهير والعلماء المعروفين كأينشتاين والذين فضّلوا مناخ الولايات المتحدة الأمريكية الهادئ والمتيح للحريات على جو ألمانيا المشحون

والمعادي لليهود، حيث يقول أينشتاين في أحد تصريحاته وهو في الولايات المتحدة الأمريكية « **إذا كان لي الاختيار فسوف أختار أن أعيش في دولة تسود فيها الحرية المدنية والتسامح والمساواة بين جميع المواطنين أمام القانون، وهذه الظروف لا تتوفر حاليا في ألمانيا**» (محمّد، 2010، ص 414).

ومع أن أصل اتخاذ الألقاب وأسماء الأسر بالنسبة لليهود كان عادة مكتسبة فرضتها ظروف معينة إلاّ أن ذلك لم يمنع هذا من إطلاق اليهود ألقابا على بعض العائلات العريقة حيث أنه « **وفي الحالات النادرة، كان أعضاء الجماعات اليهودية يحملون اسم عائلة، كما هو الحال مع العائلات اليهودية العريقة مثل روتشيلد**» (المسيري، 1999، م3، ج2، ص 337) وفي المقابل من ذلك وعلى العكس منه تماما فقد كان « **يحمل بعض أعضاء الجماعات اليهودية أسماء غير لائقة لأن الموظف الحكومي المسئول عن تسميتهم منحهم إياها بسبب عدم رضاه عنهم**» (المسيري، 1999، م3، ج2، ص 337) ومن الأسماء غير اللائقة التي كان يطلقها الموظفون الحكوميون على أفراد الجماعة اليهودية ويسجلونهم بها فتلتصق بهم كألقاب، تلك الأسماء « **مثل: جروس أي ضخم، أو كلاين أي صغير أو كالف، أي العجل، أو برونفن أي براندي* أو شفارتز أي الأسود أو العبد ويستخدم الإشكناز* هذه الكلمة الأخيرة للإشارة إلى يهود الشرق في العالمين العربي والإسلامي**» (المسيري، 1999، م3، ج2، ص 337).

6.3 مصير الأسماء اليهودية بعد الاندماج في العالم الغربي:

يلاحظ في أسماء الأبناء من أسرة روبنشتاين في الرواية موضوع هذه الدراسة أنها لا تبدو أسماء يهودية خالصة إذ جاءت الأسماء في الرواية كالتالي: جانيت أورلي آفي (شافاق، 2012) وهذا الأمر موجود فعليا في أرض الواقع أيضا وليس مجرد خيال روائي إذ « **مع تزايُد معدلات الاندماج في العالم الغربي، بدأ يهود العالم الغربي يبتعدون عن الأسماء اليهودية أو ذات النبرة اليهودية وقد بدأت هذه العملية بإدغام الاسم، فالاسم أبراهام يصبح برام، وسولومونسون أي ابن سليمان أصبح سولمس، وصموئيل أصبح زيميل**» (المسيري، 1999، م3، ج2، ص 337) كما أنّه في أحيانا أخرى كانت

التسمية تتخذ تمويها من نوع آخر حيث « **كان الاسم يُعلمَن بتبسيط طريقة كتابته لتبسيط نُطْقه وذلك حينما يهاجر عضو الجماعة اليهودي من بلد لآخر، وأحياناً كان ثمة صعوبات تواجه أعضاء الجماعات اليهودية في تغيير اسم الأسرة، لأن هذا كان يستلزم إجراءات قانونية معقدة، ولكن الإجراءات كانت في واقع الأمر بسيطة في معظم الأحيان**» (المسيري، 1999، م3، ج2، ص 337) وعندما تبيّن لليهود أن الإجراءات في واقع الأمر لم تكن سوى إجراءات بسيطة وليس فيها ما يتوقعونه من التعقيد وعرفوا أن ليس في الأمر صعوبة « **قامت الأغلبية العظمى من يهود الغرب بتسمية أبنائهم بأسماء غير يهودية**» (المسيري، 1999، م3، ج2، ص 337) وفكرة التّغيير في الأسماء هي أيضا فكرة قديمة وليست حكرا على اليهود وحدهم إذ عادة كلما عرفت حضارة من الحضارات تطورا ما أو ظروفا معيّنة تتبدل من خلالها أحوالها، لحق الأسماء أيضا نوع من التغيّير ومن ذلك مثلا ما حصل على لسان أهل اليمن قديما من تغيير « **وأن ذلك التغير قد تناول حتى الأسماء، فصارت الأسماء القديمة ثقيلة على أسماعهم غليظة الوقع عليهم، فخففوها أو بدّلوها**» (المسيري، 1999، م3، ج2، ص 337) حيث أنّه مع الوقت بدأت الأسماء اليمانية الثقيلة تختفي شيئا فشيئا « **وأن أسماء أخرى جديدة أخف على السمع حلت محل الأسماء المركبة القديمة، وفي هذا التطور دلالة على حدوث تغير في عقلية أهل اليمن بعد الميلاد، وعلى حصول تقارب بين لغتهم ولغة أهل الحجاز وبقية العرب الذين يسميهم المستشرقون العرب الشماليين**» (علي، 2001، ج1، ص 92) وكما هو ملاحظ فمسألة التغيّر في الأسماء ليست مسألة يهودية خالصة محتكرة فقط عليهم دون باقي الثقافات والحضارات الأخرى، حيث أنّه قد تعرف الثقافات والحضارات الأخرى أيضا تغيّرا في الأسماء تبعا للتغيّرات العامة التي تلحق تلك الحضارة أو الثّقافة، ويبدو أن اليهود بدورهم لما بدأ يحصل لهم اندماج شبه كامل أو كامل في الثقافة الغربية توقفوا عن تسمية أبنائهم – على الأقل في الظاهر- بأسماء يهودية وربما حافظوا على بعض الحروف ذات الدّلالة التوراتية في الأسماء الجديدة لتبقي على الرمزية فيها ومن أمثلة ذلك أنه « **قد توقف يهود ألمانيا، قبل الحرب العالمية الثانية عن اختيار أسماء توراتية، ومع هذا، فقد كانوا يختارون أسماء تبدأ بحروف**

تُذكِّر المرء بشخصية توراتية، فبدلاً من موسى كانوا يُسمَّون موريتز، وبدلاً من سيمون كانوا يقولون سيجفريد، وبدلاً من موردخاي، مارتن، وبدلاً من إسحق، إيزيدور، وكان من المفهوم أن هذه أسماء يهودية، ولذا كان المسيحيون يتحاشوها» (المسيري، 1999، م3، ج2، ص 337) ولم يكن هذا النّمط الجديد في اتخاذ الأسماء عند اليهود في ألمانيا فقط أو في البلدان الأوربية فقط إذ قد تكررت هذه الظاهرة أيضا « **في الولايات المتحدة في الفترة نفسها، فبدلاً من إسرائيل قالوا إرفنج وبدلاً من موسى قالوا مورتيمر أو موريتز أو موريس أو ماكس أو حتى مارفن أو مري، وكان من النادر أن يتسمَّى غير اليهود بهذه الأسماء، ولكن كل هذه الظواهر قد اختفت مع الحرب العالمية الثانية، ومع تزايُد مستويات العلمنة»**(المسيري، 1999، م3، ج2، ص 337).

وهذا هو حال التّاريخ دائما في ملابساته التي يفرضها فتحدث من خلالها تغييرات في مناحي الحياة عامة ويكون ذلك إما بناء على تغيّر في القناعات أو بناء على الخوف من أمر ما أو بناء على عدم الرغبة في الاختلاف مع الآخرين والاندماج معهم أو بناء حتى على مصلحة معينة، وقد حدثت أحوال مشابهة للعرب مثلا قبيل ظهور الإسلام وأثناءه حيث وقع « **تغير في الذوق اللغوي عند العرب الجنوبيين قبيل الإسلام، وعلى الميل إلى اختزال الأسماء وتبسيطها، على نحو ما كان عند العرب الشماليين»** (علي، 2001، ج1، ص 92) وهذا التغيير الذي يشار إليه ها هنا يعدّ في أحوال الحضارات والثقافات شيئا طبيعيا جدا وقد « **وقع قبل الإسلام، كما وقع في الإسلام فقد ماتت الأسماء الجاهلية، مثل امرؤ القيس ومعدي كرب، شرحبيل وشرحئيل وعبد عوف وعبد مناة وعبد أسد في الإسلام، وحلت محلها أسماء إسلامية، وماتت ألفاظ جاهلية، بسبب إماتة الإسلام لها، أو إعراضه عن استعمالها، أو بسبب تغير الذوق فلم تعد تصلح للاستعمال»** (المسيري، 1999، م3، ج2، ص 337).

7.3 التسميات اليهودية في الوقت الحاضر:

أمّا في الوقت الحاضر ومع الاندماج شبه الكلي أو الكلي لليهود في الحضارة الغربية فلم يعد اليهود يختارون « **أية أسماء خاصة، ولم تَعُد أسماؤهم تختلف عن بقية أسماء أعضاء المجتمع، بل أحياناً نجد**

يهوداً يُسمَّون كريستين، وكريستوفر وهي أسماء لها دلالة مسيحية واضحة» (المسيري، 1999، م3، ج2، ص 337) ولعلّ في اختيار الرواية لأن تكون أسماء الأبناء من عائلة روبنشتاين لا تحمل دلالات يهودية خاصة تلميحا لهذا الأمر وبأن اليهودي الآن لم يعد هو نفسه اليهودي القديم الذي كان معروفا من قبل، وهو أمر لا ينفي تماما أنه قد يكون لليهود في مجتمعاتهم الخاصة أسماء أخرى غير التي هي في الظاهر « **وقد تسمَّى يهود الدونمه المتخفون بأسماء عربية إسلامية يتعاملون بها مع أعضاء المجتمع التركي، ولكنهم تسمَّوا أيضاً بأسماء عبرية يتعاملون بها فيما بينهم»** (المسيري، 1999، م3، ج2، ص 337) ولذلك فالأسماء يمكن أن تتغير تبعا للتطور الثقافي أو الديني أو التهديد الذي تعيشه جماعة من الجماعات، وليس هذا الأمر محتكرا في الغالب على أبناء جماعة معينة إنمّا قد يكون حالة عامة يمكن أن تمر بها كل الثقافات والحضارات والجماعات ويشهد لذلك ما سبق ذكره في ثنايا هذا المقصد من أن العرب أيضا قد مرت عليهم أحوال وملابسات تاريخية وثقافية جعلت الكثير من أسمائهم تتغير تبعا لتلك الملابسات وتختفي تماما فيما بعد.

وعلى العموم فكما يلاحظ من خلال هذا العرض لبعض التّفاصيل التي توضّح علاقة اليهود وغيرهم بالأسماء فإنه يمكن أن يتبين للباحث بأن « **الأسماء التي يتسمَّى بها أعضاء الجماعات اليهودية متنوعة وعديدة، ولذا يَصعُب تحديد هوية الشخص بناء على اسمه»** (المسيري، 1999، م3، ج2، ص 337) وحتى على فرض اختيار اليهود لأكثر من اسم أي باختيارهم لاسم في التعامل مع الآخر واسم عبري خاص فإن ذلك قد يرجع إلى اعتبارات دينية في الغالب « **وحسب بعض التقاليد الدينية، كان يتحتم على اليهودي (خارج فلسطين) أن يتخذ لنفسه اسماً عبرياً إلى جانب اسمه الأصلي إن لم يكن عبرياً، وذلك لاستخدامه في الشعائر الدينية وليوضع على شاهد قبره بعد موته»** (المسيري، 1999، م3، ج2، ص 337).

8.3 حضور الأسماء غير اليهودية في الرواية:

إذا ما تعلق الأمر بأسماء الشخصيات غير اليهودية في القصة الإطارية من هذه الرواية، فعموم الشّخصيات كانت قد جاءت تكميلية فقط وليست لها أدوار فعلية كبيرة إذ أن كلا من سكوت ومشيل وستيف (شافاق، 2012) لا يحضرون إلاّ عبر مكالمة هاتفية أو ذكر عابر، ومع أن اسم مشيل لا يستبعد أن يكون ذو خلفية عبرية أيضا إذ هو على الأغلب نوع من التّصحيف في اسم ميكائيل والذي يمكن أن يتحول حينما يصحّف أو يتغير نطق بعض حروفه إلى ميخائيل أو ميشيل، ومكائيل هو ملاك اليهود المحبوب حيث يسود في اعتقادهم « **أن ميكائيل رسول الخصب والسلام وقالوا: نحن نحب ميكائيل**» (بن عاشور، 1984، ج 1، ص 623) وذلك في مقابل بغضهم لجبرائيل « **لأنهم زعموا أن جبريل رسول الخسف والعذاب**» (بن عاشور، 1984، ج 1، ص 623) ومع ذلك فليس هنالك دلالة قطعية في أن ميشيل المذكورة في الرواية إنما هي شخصية يهودية، إذ لا شيء يمنع غير اليهود من التّسمي أيضا بميشيل، ولم يكن حضورها في الرواية إلى حضورا عابرا من خلال بعض المكالمات والرسائل الصوتية مع إيلا روبنشتاين.

أما الشخصية الأخرى غير اليهودية والتي كان لها حضور في الرواية فهي شخصية عزيز زاهارا كاتب رواية الكفر الحلو، والبطل الأساسي في القصة الإطارية من الرواية (شافاق، 2012) وكما يظهر من خلال اسمه أنه ذو خلفية عربية أو على الأقل خلفية ترجع في أصلها إلى الإسلام، وتكشف تفاصيل الرواية فيما بعد أنه شخص أوربي قد اعتنق الاسلام واختار لنفسه هذا الاسم.

أما الشخصية الأخيرة من شخصيات القصّة الإطارية في الرواية والتي لا بد من التوقف عندها أيضا وعدم إغفالها فهي شخصية سبيريت الكلب الذهبي الذي يبلغ من العمر اثنتي عشرة سنة (شافاق، 2012)، ويرافق إيلا دائما في جولاتها الصباحية، وتبدو تسمية الكلب في الرواية بهذه التسمية سبريت غريبة بعض الشيء، إذ أن الترجمة الحرفية لاسم سبيريت من الأنجليزية إلى العربية هي الروح وهو ربط غريب بين الروح وتسمية الكلب يفتح مجالا لتساؤلات تبقى غالبا من غير إجابات، فحتى لو أُعْتبر هذا الكلب محبوبا لدرجة أن حب صاحبه له يبلغ شغاف القلب ومرتبة الروح منه، فهل يعقل في المقابل من ذلك أن

تنزل هذه الروح ذات الدلالة الأيقونية على حياة الأشياء في العالم كله، لترتبط بمجرد تسمية كلب؟ وهل يعني استعداد إيلا لموت كلبها سبريت أنّها كانت على استعداد أيضا لموت روحها؟ وهل يعني العثور عليه أخيرا ميتا في المطبخ[54] أن روح إيلا ماتت أخيرا؟ كما أنّه إضافة إلى هذه التساؤلات التي لم تجد إجابة شافية من خلال الرواية، يمكن أن يلاحظ أيضا في تسيمة الكلب تسمية غير يهودية ما يؤشر على نسق ما سنكشف عنه في ختام هذه الورقة البحثية.

4. خاتمة:

عموما فإنّه يمكن من خلال العرض السّابق والذي حاول البحث في الأسماء عند اليهود وكذا عند بعض الحضارات والثّقافات التي يمكن أن تتشابه معهم في علاقتها بالأسماء أو في الطّرق التي تتخذ بها الأسماء، ومن ثمّ محاولة إجراء بعض الإسقاطات على أسماء الشّخصيات والتي وردت في القصّة الإطارية من الرواية لعلّه يمكن من خلال هذا العرض الكشف عن جملة من الأنساق التي يمكن أن تضمرها أسماء الشخصيات في القصة الإطارية من الرواية، ويضمرها أيضا استدعاء هذه الأسماء دونما سواها وكأن شيئا ما يلحّ على استدعائها هي تحديدا دون غيرها وهذه الأنساق المضمرة التي يمكن كشفها من خلال الأسماء والتي يمكن كشفها أيضا من خلال استدعاء الأسماء هي:

- نسق الميل للاختزال والتعميم: وهو نسق عام قد لا تختص به ثقافة دون أخرى ويهرب هذا النّسق من بذل الجهد وإتعاب الذّهن في محاولة البحث؛ إذ يكفي أحيانا وجود أيقونة تحمل اسم ديفيد مثلا لتنفتح لها ملفات الدّيانة اليهودية والثقافة واللغة العبرية، ويكفي وجود أيقونة أخرى تحمل اسما ألمانيا ليهود أميركيا كاسم عائلة روبنشتاين مثلا لتنفتح لها ملفات المحرقة والنازية واضطهاد اليهود الألمان على مصراعيّها، ويكفي وجود أيقونة أخرى باسم عزيز لفتح ملفات الإسلام أيضا على مصراعيّها، مع أن النّاس أحيانا يغيّرون أديانهم ومعتقداتهم وأفكارهم، وقد يكونون غير ملتزمين بها منذ البداية، ولا تجمعهم بها سوى تلك الأسماء، لكن مجرد حفاظهم على جزء يسير منها كأسمائهم مثلا كاف بإلصاق أديانهم وأفكارهم ومعتقداتهم وجماعاتهم بهم وعمل

هذا النسق هو اختزال المعلومات الثقافية في أيقونات ومن ثم التعميم بتلك الأيقونات عن الثّقافة التي اختزلت فيها قصرا دون إتعاب الذهن في تمييز خطأ ذلك الاختزال والتّعميم من صوابه، واليهودي مثلا وفق هذا النسق هو في نظر مقابله العربي أو المسلم شخص سيء وهو حتما سيضمر شرا بكل تصرّفاته حتى ما يبدو منها بريئا وفي المقابل من ذلك ينظر اليهودي لمقابله المسلم أو العربي بالطريقة نفسها.

- نسق التوجس من الآخر: وهو نسق يمكن أن يكون تابعا للنسق الأول إذ عادة ما تكون أفعال الآخر سواء منها البريئة أو غير البريئة مدعاة للتوجس منه بحكم اختزال هذا الآخر في أيقونة الشر، ومن ثم التعميم بهذه الأيقونة على جميع ما يمكن أن يدخل تحت مسمى الآخر وعلى جميع تصرفات هذا الآخر وأفعاله، ولأن هذا الآخر قد أحاطه الشر من كل جانب، فلا بد من أن يترافق التعامل معه بكل أنواع الحذر والتوجس، فالآخر حينما يرفض الاختلاط بنا مثلا، فلا يعني هذا أن للآخر خصوصية ما لا بد أن تحترم بل لأن هذا الآخر فقط شخص سيء معقد منكفئ على نفسه يرفض أي نوع من الاختلاط، أمّا حينما يتعلق الأمر بنا نحن عند رفضنا للاختلاط بالآخر فإن ذلك راجع فقط لخصوصيتنا لا عن نية مبيتة، ورفض هذا الآخر مثلا تزويج ابنته خارج الديانة أو المذهب أو الثقافة، يصبح مصدر غمز لهذا الآخر غير المنفتح، لكن رفضنا نحن في المقابل من ذلك سيجد له دائما من المبررات ما يكفيه.
- نسق وصم الآخر بعيوب هي في الأساس عيوب مشتركة: وهو أيضا نسق منسحب على الأنساق التي قبله إذ أن اختزال الآخر في الشر وتعميمه عليه ومن ثم التوجس من كل تصرّفاته وأفعاله يجعل حتى من العيوب المشتركة هي عيوبا للآخر فقط وحينها تصبح محافظة الآخر على خصوصيته عيبا ومحافظتنا على خصوصيتنا فضيلة، فرفض الآخر للاختلاط مدعاة لغمزه لكن رفضنا نفسه مدعاة لمدحنا، وهو ما عبّر عنه العربي القديم اختصارا بقوله: رمتني بدائها وانسلّت.

- نسق تحقير الآخر: حتى أن هذا الآخر لا يليق به إلاّ أن نطلق اسمه على أسماء كلابنا وحيواناتنا الألفية، وهو أسمى مقام يمكن أن يبلغه عندنا، فاسم الكلب إذا يحمل في طيّاته نسقا قلما يُنتبه إليه، حيث عادة ما يُطلق الناس على كلابهم وحيواناتهم أسماء لا تنتمي إلى لغتهم وثقافتهم.
- نسق الانصهار في العولمة: حتى لا تبقى للمجموعات أي خصوصيات ثقافية، وكل مجموعة ثقافية تحتفظ بشيء من خصوصيتها تغدو مثارا للسخرية وموضعا للغمز وعلامة على الانعزال والاغتراب وتأخرا على مواكبة الركب الحضاري، ويمعن هذا النسق في سحب أفراد الثقافات المختلفة من أسمائهم وأشيائهم وكل متعلقاتهم رغما عنهم ليغدو هو البديل الأوحد عمّا خلّفوه وراءهم.
- نسق هيمنة اللغات ذات الارتباط الديني: وقد سبقت الإشارة إلى هذا النسق أثناء الحديث عن مضمرات اسم مؤلفة الرواية، إذ أن لغة مثل اللغة العربية لكونها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالإسلام بحكم أنها اللغة التي نزل بها كتابه – القرآن الكريم- تجعل من جميع من ينتسب إلى هذا الدين ملزما بشيء من الالتزام تجاه لغته ولو في تحويل اسم المعتنق الجديد للدّين إليها، مع أن ليس هنالك ما يلزم معتنق الإسلام من غير العرب في تحويل اسمه للعربية، إلا أن المعتنق نفسه والمحيط عموما يفرض عليه هذا النوع من الالتزام تجاه اللغة التي يلتزم بدينها ومن ثمّ يمنح اللغة نسق الهيمنة.

5. قائمة المراجع:

- إيزاكسون، والتر، (2010)، أينشتاين حياته وعالمه، تر: هاشم أحمد محمد، الإمرات العربية المتحدة/ مصر، كلمة/ كلمات عربية للترجمة والنشر.
- برو، توفيق، (2001)، تاريخ العرب القديم، سوريا، دار الفكر.
- بن عاشور، محمد الطاهر، (1984)، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، تونس، الدار التونسية للنشر.

- بن نبي، مالك، (2011)، وجهة العالم الإسلامي الجزء الثاني (المسألة اليهودية)، تر: عمر مسقاوي، سوريا.
- شافاق، إليف (2012)، قواعد العشق الأربعون رواية عن جلال الرومي، تر: خالد الجلبي، المملكة المتحدة، دار طوى للثقافة والنشر والإعلام.
- صالح، عبد العزيز، (د ت)، الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق، السعودية، مكتبة دار الزمان.
- علي، جواد، (2001)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لبنان، دار الساقي.
- قدح، محمود بن عبد الرحمن، (2001)، الأسفار المقدسة عن اليهود وأثرها في انحرافهم عرض ونقد، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الثالثة والثلاثون، العدد 111.
- المسيري، عبد الوهاب، (1999)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مصر، دار الشروق.